النشـــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ١٩٩٨/٢٣

الأحد ٧ حزيران

أحد العنصرة
القديس الشهيد في الكهنة
ثاودوتوس أسقف أنقرة

الـــرســـالـــة (أعمال الرسل ٢ : ١ - ١١)
الإنـــجـــيـــل (يـــوحـــنـــا ٧ : ٣٧-٥٢ و ٨- ١٢)

+ المجمع المسكوني الثاني

ذكرنا في العدد السابق ان المجمع المسكوني الثاني عقد في العام ٣٨١ فـــي مدينـــة القسطنطينية بدعوة من الإمبراطور ثيوذوسيوس للدفاع عن الإيمان القويم ضد أعداء الـــروح القدس الذين أنكروا ألوهية الروح القدس وجعلوه مخلوقا.

لا بد لمن أعتقد بمخلوقية الإبن وعدم مساواته للآب في الجوهـــر، أن يعتقـــد أيضـــا بمخلوقية الروح القدس وينكر ألوهة الروح. هذه البدعة هي أيضا من فلول الآريوسية التـــي تحدثنا عنها سابقا. لم ينتبه الأرثوذكسيون لهذه البدعة التي تنكر ألوهة الروح القدس بســـبب

إنشغالهم بالدفاع عن ألوهة الإبن. لكن أصحاب هذه البدعة برزوا مع الزمن وصاروا يشكلون تهديدا للإيمان القويم في الكنيسة، فابتدأ الصراع ضدهم.

أبرز الذين أنكروا ألوهة الروح القدس كان مكدونيوس، بطريرك القسطنطينية الذي كان قد اغتصب كرسي القسطنطينية من البطريرك بولس على عهد الإمبراطور قسطنيوس (+٣٦١)، لكنه عزل سنة ٣٦٠. من تعاليم مكدونيوس ''ان الإبن مشابه للآب في كل شيء ولكنه يساويه في الجوهر، وان الروح القدس مخلوق وخادم للإبن كأحد الملائكة''. صراع الكنيسة مع المكدونيين تجلى في موقف المدافع الأول عن الإيمان المستقيم القديس أثناسيوس الكبير القائل: ''سمعت والألم يحز في نفسي أن بعض الذين هجروا الآريوسيين إشمئزازا منهم لتجديفهم على إبن الله يدعون مع ذلك الروح القدس مخلوقا ويقولون انه أحد الأرواح الخادمة ولا يختلف عن الملائكة إلا بالرتبة''. كما ان مجمع الإسكندرية المنعقد عام ٣٦٢ نبذ الرأي بأن الروح القدس مخلوق ''وان من يقول هذا القول لا يعتبر غريبا عن البدعة الآريوسية المقيتة''.

بعد موت القديس أثناسيوس أعلن البابا داماسوس في الغرب رفضه أيضا لهذه البدعة وصرح بأن الروح القدس هو حقا منبثق من الآب، وهو كالإبن من ذات الجوهر الإلهي الواحد، وإله حق، مساو للآب والإبن في الجوهر ومسجود له معهما. ولاحقا كتب القديس باسيليوس ا لكبير (+٣٧٩) كتابا عن الروح القدس دافع فيه عن ألوهية الروح.

من الهرطقات التي برزت أيضا بعد المجمع المسكوني الأول كانت هرطقة أبوليناريوس أسقف اللاذقية وكان صديقا للقديس أثناسيوس الكبير. في معرض دفاعه الزائد عن ألوهة المسيح و إنطلاقا من نظرية أفلاطون التي تعتبر بأن الإنسان يتألف من جسد، ونفس غير عاقلة، ونفس عاقلة (جسد ونفس وروح)، نسب للمسيح جسدا بشريا ونفسا بشرية (غير عاقلة، يشترك فيها البشر والحيوانات)، ولكنه نفى أن يكون للمسيح روح عاقلة وجعل محلها الروح الكلمة (الله)، وانتهى به الأمر الى الى القول بالإله المتوشح الجسد، كما قالت النسطورية لاحقا. جعل المسيح كائنا متوسطا بين الله والإنسان وكأنه مؤلف من جزء إلهي وجزئين بشريين إمتزجت كلها في طبيعة واحدة جديدة للمسيح. فالمسيح معه ليس إنسانا تاما ولا إلها ولكنه مزيج من الله والإنسان، مثلما اللون الأشهب هو مزيج من الأبيض والأسود.

بعد انتشار بدعة مكدونيوس وبهدف معالجة موضوع هذه البدعة والقضاء على فلول الآريوسية، دعا الإمبراطور ثيوذسيوس الكبير، إمبراطور الشرق، الى مجمع عقد في مدينة القسطنطينية في شهر تموز سنة ٣٨١ وحضره ١٥٠ أسقفا من آباء الكنيسة في الشرق. هذا المجمع لم يحضره أي أسقف من الغرب ولا البابا داماسوس إذ لم توجه اليه دعوة للحضور.

ولكن رغم ذلك اعتبرته الكنيسة الغربية مجمعا مسكونيا كالمجمع المسكوني الأول وقبلت جميع قرارته. روبما سمي هذا المجمع مسكونيا إستنادا الى دستور الإيمان الذي وضعه وقبل في المسكونة كلها. أما الوفد ا لإنطاكي الى هذا المجمع فقد ضم ٦٥ أسقفا.

ترأس المجمع في البداية البطريرك ملاتيوس الإنطاكي ولكن بسبب وفاته أثناء المجمع تولى الرئاسة القديس غريغوريوس النزينزي بطريرك القسطنطينية، ولما استعفى من أسقفية القسطنطينية خلفه البطريرك نيكتاريوس القسطنطيني. الى جانب هؤلاء حضر المجمع القديسون غريغوريوس النيصصي وبطرس أسقف سبسطية وكيرلس الأورشليمي إضافة الى عدد كبير من القديسين المعترفين. غاية المجمع كانت دحض بدعة مكدونيوس الذي أنكر ألوهة الروح القدس ودحض تعاليم أبوليناريوس والأفنوميين والأفدوكسيين والصابيليين والمركليين والفوتينيانيين.

أصدر هذا المجمع سبعة قوانين وأثبت لاهوت الروح القدس، وجدد عقيدة المجمع النيقاوي المسكوني الأول، فلم يبدل دستور الإيمان الذي أعلنه هذا المجمع إنما أضاف عبارة ''الذي لا فناء لملكه'' على متن الدستور ، دحضا لبدعة أبوليناريوس الذي قال إن ملك المسيح يمتد الى ألف سنة. كما أكمل الجزء الأخير من الدستور، من ''وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والإبن مسجود له وممجد...'' الى النهاية ، كما نعرفه اليوم. المجامع المسكونية اللاحقة قبلت الدستور الذي وضعه المجمعان المسكونيان الأول والثاني كأنه دستور واحد. أما بالنسبة لهرطقة أبوليناريوس فقد جدد هذا المجمع ايمان المجمع المسكوني الأول وشدد على ان كلمة الله التام الذي قبل الدهور، صار إنسانا تاما في آخر الأزمنة من أجل خلاصنا.

الجدير ذكره ان للقديس أبيفانيوس القبرصي في كتاب له عام ٣٧٤ نصا لدستور الإيمان يشبه كلمة كلمة النص الذي وضعه المجمع المسكوني الثاني. ولذلك فإن دستور هذا المجمع قد يكون دستور ايمان معمودية كان معتمدا في كنيسة سلاميس (قبرص). في شرحه للدستور يقول أبيفانيوس: ''ونؤمن بالروح القدس، الناطق بالناموس والمعلم بالأنبياء، الذي نزل الى الأردن، ونطق بالرسل وهو يحل في القديسين. وهكذا نؤمن به أي انه الروح القدس، روح الله الكامل، الروح المعزي غير المخلوق، المنبثق من الآب والمرسل من الإبن والمؤمن به... والذين يقولون انه كان وقت لم يكن فيه الإبن او لم يكن فيه الروح القدس، أو ان كلا منهما خلق من العدم او انه من طبيعة او جوهر مختلفين عن طبيعة الآب وجوهره، ويؤكدون ان ابن الله والروح القدس هما عرضة للتغير والتبدل، كل هؤلاء تبسلهم الكنيسة

الجامعة الرسولية أمكم وأمنا كلنا. ثم اننا نبسل أيضاً الذي لا يعترفون بقيامة الموتى. كما نرفض كل البدع التي لا تتفق والإيمان الحقيقي''.

اما قضية إنبثاق الروح القدس التي شكلت خلافاً مع الكنيسة الغربية فسنتكلّم عنها في العهد المقبل بنعمة الله.

+ الظهور الإلهي: في عماد المسيح

وعندما أذكر الله فلينركم نور واحد، وفي الوقت ذاته أنوار ثلاثة من حيث الخواص أي ثلاثة أقانيم، اذا شاء أحدكم أن يسمي الخواص أقانيم أو أشخاصا (ولا خلاف في التسمية ما دامت هذه الكلمات تعني شيئا واحدا).

الألوهة واحدة في الجوهر تنقسم بدون انفصال او تجزئة، وتتحد وتبقى منقسمة لأن الألوهة واحدة في ثلاثة أقانيم، والثلاثة الأقانيم جوهر واحد في الألوهة. أننا سنتحاشى التطرف والحذف غير جاعلين من الوحدة تشويشا ومن الإنقسام فعلا وغربة حتى يبقى موقفنا بعيدا عن مذهب سيفليوس في مزج الأقانيم، ومذهب آريوس في التقسيم والتفريق بين لأقانيم، وكلا المذهبين غارقان في الضلال، وكلاهما في اعتبار واحد من المذهب وشر الإعتقاد. لأنه ما هو الموجب الى هذين المعتقدين الرديئين في المزج والتفريق؟

اننا نعتقد بإله واحد، الآب الذي منه كل شيء ، ورب واحد يسوع المسيح الذي به كان كل شيء وروح قدس واحد الذي فيه كل شيء. الأقانيم الثلاثة هي بلاهوت واحد.

ولكي يربط الله بين السماء والأرض، وتملأ الدنيا بمجد الله، خلق الإنسان الذي أكرمه بالصورة الإلهية. ولما سقط الإنسان في الخطيئة، وابتعد عن ربه بحسد الشيطان، لم يتغافل عنه ولم يهمله. ماذا حدث؟ وما هو التدبير في استدراك هذا السقوط؟ وما هو السر الرهيب العجيب الذي صار من أجلنا؟ تتجدد الطبيعة، والله يصير إنسانا. ابن الله يرتضي ان يصير إنسانا ويسمى إبن الإنسان! لا يعني هذا انه تغير مما هو عليه، فهو غير متغير، بل اتخذ ما لم يكنه (لأنه محب للبشر) فيصير غير الموسوع موسوعا، ويخاطبنا بالجسد كما هو من وراء الحجاب. لأن الطبيعة البشرية الخاضعة للفساد لا تستطيع ان تحتمل ألوهيته اذا ظهرت. ولذلك اتحد الشيئان المتضادان: الولادة مع البتولية ، وغير المتألم مع الألم، وغير المائت مع الجسد المائت! وبما أن مخترع الشر ظن أنه لا يغلب ما دام قد خدعنا، انخدع هو ذاته بظهور المجد بمهاجمته لآدم الجديد فأصطدم بالله، وهكذا خلص آدم الجديد آدم القديم، وحل دينونة الجسد مميتا الموت بالموت.

القديس غريغوريوس اللاهوتي

+ الصلاة في الحياة المسيحية

+ صلاة المبتدئين...

وكلنا مبتدئون

كثيرا ما نأتي الى الصلاة ونقف أمام الله محاولين ان نقدم له صورة مجملة عن واقعنا الحقيقي، فنبدأ بتبرير تصرفاتنا التي لا يرضى عنها ونحاول إخفاء اسبابها الحقيقية ودوافعها بحجج لا تقنعنا، نحاول بواسطتها إقناع الله. في بعض الأحيان، وخارج التبريرات لتصرفاتنا السيئة، نحاول ان نظهر امامه في مواقف محددة تبرر طلباتنا التي ستتضمنها صلاتنا اليه. كل هذا نفعله ونحن نعلم أن الله يعرف دواخلنا وخفايا قلوبنا وأفكارنا. السؤال المطروح بجدية هو: هل نحن كما نحن أمام الله أم نريد ان نظهر بمظهر آخر؟ الشرط الأول هو ان نكشف ذواتنا وأعماق أفكارنا و دواخل قلوبنا وكنوناتها ببساطة وبصورة كلية أمام الله. بدون شفافيتنا الكاملة أمام الله، بدون أن نسكب أمامه كل كياننا، بالرغم من كل سيئاتنا وحقارتنا، لن نقف حقيقة أمام الله. ليس الموضوع موضوع جسارة بل انه انكسار كلي أمامه. هذا الإتضاع والإنكسار يحركان دواخلنا ويستجلبان رحمة الله علينا حتى نستحق المثول امامه. إذا المطلوب ان نقف أمام الله بصدق.

إذا استطعنا ذلك ستواجهنا مسألة أخرى. من هو الله الذي نحن واقفون امامه؟ إننا نرسم له صورة كوناها من خلال ما سمعناه عنه أو قرأناه، كأن نسكب عليه صفات كالرحمة والقوة والكمال والبهاء، وهذا كله صحيح ولكنه ليس الصورة الكاملة لله. ذلك اننا أحيانا نشدد على مخاطبته من خلال التشديد على احد جوانب شخصيته بحسب الحالة التي نمر فيها، ما يجعل الأمر بالغ الخطورة، لأننا نخاطب في هذه الحالة إلها من صنعنا. الله وحده يظهر لنا وجهه ويعلن عن حضوره بالشكل الذي يراه مناسبا. كم مرة انتظرنا ان نراه مصلوبا فوجدنا القبر فارغا؟ وكم مرة اعتقدناه غاضبا علينا فوجدناه رحوما؟ أو كم مرة اكدنا انه يشبه صورة عرفناه فيها في ماضينا، فنراه يفاجئنا بصورة جديدة نتعلمها عنه. بالحقيقة نحن نأسر الله في أطر وظروف وكأننا نستدعيه ليكون مستمعا الى ترهاتنا. المطلوب ان نكتشف بصبر وطول أناة كيف يكشف لنا وجهه وكيف يعبر عن حضوره كما يشاء هو، حتى يتم اللقاء بين انساننا الحقيقي والله الحقيقي وحده.

متى تم هذا اللقاء سيغمرنا الدهش وتمتلكنا الرعدة ليسكن هو من روعنا ويلمس قلوبنا، ليبدأ اللقاء كما يلتقي شخصان حبيبان في حوار ومواجهة. البعض يقولون اننا بالرغم

من الوقت الطويل الذي نمضيه في الصلاة لا نشعر بالحضرة الإلهية، وغالبا ما نشعر ان الله قد أصم آذانه عن السمع أو اننا نخاطب سماء فارغة ، فلا هو يعزي ولا هو يستجيب. هذا طبيعي اذا كنا في صلاتنا لا نتوقف عن الطلب والسؤال والكلام، فلا نترك لله مجالا. الصمت مفتاح استجابة الله. في صمت العقل وهدأة القلب يتمتم الله كلمات تلهب قلوبنا وتنير عقولنا. إن لم نتعلم الصمت (صمت الفكر صمت القلب) فنطرح عنا كل الإهتمامات والمشاكل والطموحات وضوضاء العالم الخارجي، وحتى خطايانا، لن نستطيع سماع الصوت الإلهي يحركنا.

وإن تكلمنا عن الإستجابة فلا يعتقدن احد ان الإستجابة للصلاة الحارة تكون تنفيذا الهيا لرغباتنا بصورة سحرية. الله يعرف ما هو مفيد لنا، كما يعرف ما نحن بحاجة اليه حتى قبل ان نسأله، لكنه يختار المناسب ويختار الظرف والوقت. من لايعرف الصبر والمثابرة لن يعرف معنى الإستجابة الإلهية. كثيرا ما نعتقد ان صمت الله (وهو أصعب وقعا من رفضه المعلن) هو مؤشر على عدم رحمته او على انه عقاب لكثرة خطايانا. في الحالة الأولى نحاسب الله وندينه وفي الثانية نقع في اليأس. ألم يقل لنا ''لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذه الجميزة انقلعي وانغرسي في البحر فتطيعكم'' (لوقا ١٧: ٦)؟ أولسنا مؤمنين بهذا حقا، أم ان الله حنث بوعده؟ في حالات كهذه الله يمتحن إيماننا وثباتنا على حبه والإخلاص له. فلنصل دائما قائلين لتكن مشيئتك لا إرادتي.

قد يسأل البعض اذا كانت الصلاة لقاء مع الله، أليس الأفضل ان نخاطبه بكلمات من عندنا بدل ان نتلو صلوات تعودنا ترددها فأصبحت كلمات بلا معنى؟ صحيح ان الصلاة لقاء مع الله نضع خلاله ذواتنا أمامه، كاشفين له كل شيء بكلمات بسيطة. هذا أمر رائع ولكن هذا لا ينفي ضرورة تلاوة الصلوات التي تضعها الكنيسة لنا وذلك لعدة أسباب ، أولها ان هذه الصلوات وضعت من قبل أناس قديسين تمرسوا بالحياة في الحضرة الإلهية وقد كتبوا عصارة تجاربهم واختبارهم، وبالتالي هذه الصلوات مفيدة لنا لأنها تعلمنا الصلاة وتمنحنا قدرة التمييز بين ما نعتقده صلاة والصلاة الحقيقية. وللذين يقولون ان هذه الصلوات صارت كلمات بلا معنى لكثرة ترددها، نقول فلنحاول تلاوتها بتأن و تركيز لنكتشف عمق معانيها تنعش حياتنا الروحية. ونقول أيضا إنه لا بد من كثير من التواضع عند الصلاة حتى لا نتجاسر أمام الله ونحن غير مستحقين للمثول أمامه أصلا.

مخاطر عديدة تواجهنا في الصلاة كتشرد الفكر لتصبح تأملاتنا أحلام يقظة او انفعلات عاطفية مرضية. فالتأمل ليس شرود الذهن بل هو تبصر واع وسعي دقيق لسبر أغوار الإرادة الإلهية حتى متى اكتشفناها نتعلم ان نعمل ما يرضيه. وهذا السعي الذهني لا

يتطلب التركيز العقلي فقط، بل كثيرا من الوعي والإدراك والجهاد والسهر وتطويع الجسد حتى لا يشغلنا هذا الأخير عن هدفنا بسبب أو عدم تدريبه وتطويعه، فندخل بذلك نمطا طقسيا يساعدنا على الصلاة بإستمرار.

في الصلاة نستودع انفسنا بين يدي الله، هو يحفظها بنعمته ورحمته فلا يختطفها شرير، لأن الذي غلب الجحيم وحل عقالاته يختطفنا اليه في سحابة مجده لنغدو شركاء الملائكة والقديسين.

+ تأمل

لقد قلت أيها الرب: ''أنا نور العالم'' (يوحنا ٨: ١٢) وها أنت تأتي الينا، منتصف ليلنا، في الظلمة التي تثقل على البشر، وعلى الأشياء، ''والنور يضيء في الظلمة'' (يوحنا ١: ٥)

وأنت تأتي الينا، كما في ليلة من ليالي الشتاء، وتأتي الى النفوس التي يخيم فيها الظلام، فلا يحس بنورك إلا القلائل. لكن هؤلاء يعلمون ان هذا النور – مهما كان اشعاعه محدودا، الآن – فانه لا ينطفيء التبة، ويؤول به الأمر تبديد الظلمة المدلهمة.

أنك تتقدم في العتمة. فأنت المصبح الوحيد المتوقد في الليل. وأنت تضيء دائرة الفضاء الضيقة التي تحيط بك، فيتيح هذا النور، تمييز وجهك، ولو بغموض. كما انه ينير طريقك، ويرشد الذين يرغبون في اقتفاء أثرك. ويتساقط أيضا انعكاس من نور محياك، على رفاقك.

إنك تتقدم في الليل الحالك، عبر طبيعة شتوية جرداء. فالأشجار تعرت من أوراقها، وأنتصبت يابسة دكناء. لكن ها هي، وانت تلامس اغصانها، كأن اغصانها تورق وتتفتح. ومما يثير العجب أن لها شكل اوراق الزيتون الدقيقة في بستان المعصرة، بستان احتضارك. زكأن ثمارا حمراء تطلع تحت قدميك، بين العشب الهزيل والطحلب اليابس.

إن إقترابك يعيد الخضرة والحياة لما ظن مواتا. فمن ترى يفكر فيك، منتصف الليل؟ انها، بالطبع بعض النفوس المختارة، التي في حظيرة الراعي، وتعرف أن في وسعها أن تستريح، في أمان ، تحت حمايته. إنما أنت، لا تفكر بها فقط بل بكل النفوس التي تبدو، في هذه الساعة، وكأنها بدونك، أو ضدك. أنت تفكر حتى بنفسي المسكينة، وتهيىء لأجلها منذ الآن، ما تشاء ان يحمله لها الغد.

يا يسوع، نور العالم، لست النور الذي يضيء في ظلمة الليل فحسب، بل نور كل يوم جديد، ونور مرتجياته وشؤونه.

إن الشمس ترتفع شيئا فشيئا. وكذلك تريد، أنت، يا نور العالم، ان تتجلى من خـــلال جهل الناس وضعفهم، ومن خلال الإرادات الحسنة، كما من الأهواء الفاسدة. فأنت تريـــد أن تخلق كل صباح، عالما جديدا.

فيا نور النهار الذي يشرق، إجعلني برا بك، حتى لا أفسد هذا النهار الطالع، وأستقبل متعبدا، ما تقدمه لي فيه. فأنت، يا نور العالم، الشمس التي تسطع خصوصـــا فـــي وضـــح النهار.

لقد حاولت، ذات يوم من أيام الصيف، في أورشليم، ان أحدق ظـــهرا، الـــى شمـــس المشرق، ورفعت عيني اليها، فلمحت، مدة ثانية أو ثانيتين، بياضا متألقا، لا يحتمل، أنصع من الثلج. ففكرت، عندئذ، فيك، ايها المسيح، نور العالم. واعتقدت ان تلك النقطـــة المتأججـــة المشعة كانت أنقى وأقوى تمثيل بصري ، يتسنى لنا ، عن كيانك.

وحتى أستمر في رؤية شمس الظهيرة هذه ، وضعت بينها وبين عيني أوراق غصـــن صغير. فأدركت ، عندئذ ، شيئا آخر. لقد أدركت كيف يبدو لنا نورك الباهر ، ايها المسيح النور ، ملطفا ، مخففا ، عبر مخلوقاتك التي يضيئها ويحوطها بالدفء.

فأظهر لي ذاتك ، يا نور العالم ، في ألق منتصف النهار.

الأب ليف جيلله